حوار..

بقلم : احمد طلعت

شجاعة الرأى

كان اسماعيل صدقي باشا- الذى تولى الوزارة عدة مرات ورأس الوزارة مرتين - من الزعماء الذين لا يتمتعون بشعبية فى الشارع السياسى رغم قدراته الاقتصادية والسياسية ، وكفاءته فى كل منصب تولاه، ونفيه مع سعد زغلول

وترجع كراهية رجل الشارع لاسماعيل صدقى لاسباب كثيرة منها خروجه على حزب الوفد- حزب الاغلبية فى ذلك الزمان - ومنها ايضا ما عرف عنه من ابداء الراى الذى يعتقد انه فى مصلحة بلاده ، حتى ولو كان هذا الراى يختلف عن راى الاغلبية ، او يصطدم بالمشاعر العشوائية للجماهير خصوصا فى القضايا التى يغلب الشعب فيها عواطفه على عقله.

وكان من الطبيعى ان يتهم اسماعيل صدقى بعد اعلان رايه بتهم شتى منها انه عميل للانجليز او ان الصهيونية قد اشترته باموالها ونفوذها.. بل ان الكثيرين كانوا يتوقعون ان يثهور واحد من الشبان المتحمسين وتقبل اسماعيل صدقى عقابا على راى ابداه، او موقف اختلف فيه مع الاغلبية العظمى من رجال السياسة فى ذلك الوقت!!

وكان اسماعيل صدقى يتلقى تحذيرات اصدقائه بابتسامه هادئه ويقول:اننى افضل ان يقتلونى على ان اترك شعب باكمله يقتل نفسه!!

وبلغت قمة الصدام بين آراء اسماعيل صدقى ومشاعر الجماهير فى قضيتين هامتين ، الاولى هى مشاركة الجيش المصرى فى حرب فلسطين عام١٩٤٨، والثانية ما يتعلق بالانفاق المتزايد على تسليح الجيش المصرى وبناء الصناعات العسكرية فى عام ١٩٤٩.

ففى اعقاب دخول الجيش المصرى ارض فلسطين بعد منتصف ليلة ١٥ مايو سنة ٤٨ صدر بلاغ رسمى يقول (صدرت التعليمات الى قوات الجيش المصرى بدخول فلسطين لاعادة الامن والنظام فيها ولايقاف المذابح التى تقترفها العصابات الارهابية الصهيونية ضد العرب وضد الانسانية)

وفى اليوم التالى سأل محرر اخبار اليوم اسماعيل صدقى:

- سمعنا ان لك آراء تخالف القرار الاجماعى الذى اصدره البرلمان بمجلسه فهل هذا صحيح..؟

وأجاب اسماعيل صدقى..؟

لم يبق فى الاستطاعة بعد ان وصلت الامور الى ما وصلت اليه ان اتكلم فى مسائل ليس من السهل تقبلها وليس من الميسور التحول عنها وكل ما اقوله لك انى اسف على حالة البلد.. لقد قلت كل ما عن لى فى اجتماع اللجنة ثم فى الجلسة السرية ولا احسبنى الان فى حل من نشره.. كان فى الامكان الا تصل المسالة الى هذا الحد ، وسبيل التفاهم كان مفتوحا بل ولا يزال فى مقدورنا ان نوافق على الهدنة.. ومن عجب ان المسالة يدور فيها البحث منذ عام ونصف ومع ذلك لا نستدعى ولا يؤخذ راينا الا قبل دخول جيوشنا فلسطين باربع وعشرين ساعة .. هل اعددنا للامر الخطير عدته؟ وهل قدرنا جميع العواقب..؟ وهل استعددنا لاسوا الفروض ؟ اين المخابئ واين الاحتياطات لسلامة المدنيين.. وهل دار بخلد اولئك المتحمسين احتمال اغارة قاذفات القنابل اليهودية على بلادنا..؟؟

انا اعلم ان هذا الكلام قد لا يعجب كثيرين ولكنى آليت على نفسى ان اقول ما اعتقد . وكم كان عجبى عندما جلست مع حوالى ١٥ من اعضاء مجلس الشيوخ فلم ار بينهم واحدا يحبذ الحرب.فلما انعقدت الجلسة كانوا سباقين للموافقة وفى ترديد كلمة نعم..نعم..مع انهم كانوا قبل ذلك بنصف ساعة يقولون لاحول ولا قوة الا بالله، ويعارضون فكرة الحرب..!

وقال الناس يومها ان صدقى (الخائن) عاد الى (الاعيبه) القديمة ، ان اليهود(اشتروه) بدراهم معدودة او بعض الشركات.

وفى ٢٥ مايو سنة ١٩٤٩ نشرت جريدة الاهرام خبرا بعنوان (مشروع السنوات الثلاث للدفاع العسكرى) ذكرت فيه ان الحكومة قد قررت فى ميزانيتها اعتماد ٧٢ مليون جنيه لتعزيز الجيش والطيران خصص منها ٣٠ مليون للفرقة المدرعة .. و٤٢ مليون لبقية الأسلحة وانشاء عشرة مصانع حربية..

وقرا اسماعيل صدقى الخبر الذى نشرته جريدة الاهرام فارسل للجريدة - فى نفس اليوم- ردا نشرته فى اليوم التالى يقول فيه صدقى(ان الدول قد ركزت الان عنايتها واهتمامها فى اصلاح حال سكانها ولذلك عنيت بالتكتل والتفاهم اللذين يحميانها من خطر الاندفاع وراء نفقات التسلح الباهظة . وقد فطنت الى ان الاصلاح الاجتماعى هو السلاح الفعال ضد انتشار المبادئ التى تدين بها بعض الدول . فنحن اذا اردنا تحكيم العواطف فى تصرفاتنا الهتنا عن الواقع وعن المصلحة فلن نحقق لبلادنا غرضا واحدا من الخير.

اليس من الخير اذن ان نمضى فى سبيل الاصلاح واثره الطيب معروف لاريب فى تحقيقه وان نعمل على ان تكون لمصر سياسة خارجية محدودة الاغراض مفهومة النتائج فتحمينا من شرور الحرب اكثر مما تحمينا الدبابات والمصفحات والمدافع الثقيلة والمدافع السريعة ، وقد تكون اليوم ثقيلة او سريعة وتصبح غدا اقل فعلا مما يصل اليه خصومنا من العلماء الأثرياء..؟؟

ان الامر وصل فى شان هذه العلاقات الى مدى لم يكن لاحد ان يتكهن به واليك دول (البنولكس) ذلك الحلف الذى بلغ من دقة تكتله ان بلادا فى عظمة انجلترا وفرنسا وفى غيرة بلجيكا وهولندا على استقلالهما الفت منها حلفا وثيقا بلغت دقة اواصره ان انشات هيئة مشتركة من الخبراء واركان الحرب تتصرف فى شئون الدفاع المشتركة وفى توزيع التسليح وفى تحديد انواعه وجعلت مركز هذه الادارة بعيدا عن مقر الجيوش والمؤسسات الحربية ذاتها.

وهناك ما ارجوه ملحا من نوى الراى وهو الا تحول خصومتنا الداخلية واشتغالنا بشئون جيراننا اشتغالا تخطى كل حد من حدود الروية والاعتدال، فتصرفنا عن الشواغل القومية الكبرى التى مرها الى مصلحة مصر ومصلحة مصر قبل غيرها..

والان وقد مضى نصف قرن مليء بالحوادث والاحداث منذ اعلن اسماعيل صدقى رايه فى قضيتين هامتين من قضايا وطنه ، واتهمته الجماهير وقتها بالخيانة والعمالة من اجل هذه الآراء ، فان السؤال لا يزال مطروحا:

هل كان اسماعيل صدقى- حقيقة - خائنا وعميلا فيما ابداه من راى ، ام انه كان صاحب نظرة بعيدة تتجاوز المشاعر الجارفة للجماهير..؟؟

التاريخ وحدة هو الذى يمكن ان يحكم لاسماعيل صدقى .. او يحكم عليه..